عاصفة على اليمن

د. محمد سليم وهبه، استاذ في الجامعة اللبنانية

عاصفة طائفية عنصرية احرقت الشرق الاوسط من لبنان الى سوريا الى العراق الى السودان الى ليبيا وليس اخيرا اليمن، منطلقها واحد والمستفيد الاوحد الكيان الاسرائيلي. صراعات يقودها البهيمنة والتعجرف التاريخي بدون مبرر استراتيجي، ومنهجها الانانية والسلطة والحكم. تُفقد عليها الاموال وتنحر بها الاطفال والنساء والشباب، ويحرق بها الحجر والتاريخ والفكر، في همجية قل نظيرها فيما مضى. تردم العقل وتوءد الانسانية وتحرق المجتمع والقيم في نار غير مقدسة تترك المال قليصر وتهاجم جل جلاله الله.

اتت التوددات المتسارعة بشكل فاق اكثر التوقعات سلبية، لترفع من وتيرة المواجهة في اليمن إلى مرحلة خطيرة في فترة زمنية قياسية. المصالح الطائفية والخاصة والمال سيقت المعايير الانسانية تحت مسمى الاقتصاد في باب المندب والتي تسيطر عليه اليمن اريتريا وجيبوتي، رغم ان اليمن لم تهدد وليس بمقدورها ان تهدد بالاقفال المضيق ولم تلمح مطلقا لهذا، ومع ذلك وبتنظير بعض الدول وفي اطار المخاطر الاحترازية فاليمن قد تشكل خطرًا شديدًا على صادرات النفط الخليجية والمنتجات الوارِدة من دول شرق آسيا والتي تمر جميعها من قناة السويس، كون مضيق باب المندب يربط خليج عدن والبحر الأحمر والمحيط الهادي، مع تبريرات الأهمية الاستراتيجية لعدة دول على مستوى نقل النفط والبضائع ودول شرق آسيا، والاتفاقيات الدولية التي تتحكم في عملية عبور المضيق، وأنه مفتاح الملاحة الرئيسي في البحر الأحمر، وانه أنبوب يتدفق من خلاله البترول الخليجي وبضائع شرق آسيا. لذلك هو ضرورة لعبور السفن النفط الخليجية عنها إلى العالم، وبمر عبره 6.1% من بترول العالم و3.4 مليون برميل يوميًا في 2013، وتعبره سنويا 21 ألف سفينة ما يمثل 12 % من التجارة العالمية وهنا ينظر البعض برتكز الخطر.

باب المندب هو النقطة الاستراتيجية حيث تمر معظم امدادات النفط والغاز الى مصر عن طريق حدودها الشرقية وفي حال توقف امدادات النفط والغاز الى مصر سوف تحدث العديد من الازمات في الطاقة والكهرباء بالاضافة الى خط انابيب النفط سوميد والذي يتم ايصال النفط من خلاله عبر ناقلات النفط التي تاتي الى البحر الاحمر بميناء العين السخنة ثم ينقل البترول والغاز الطبيعي في انابيب خط سوميد الى ميناء الاسكندرية ثم الى البحر المتوسط، والاسواق الاوروبية.

ولكن كيف لليمن ان يهدد وهو يعيش أزمة مالية خانقة، خاصة بعد

أن أوقفت دول الخليج مساعداتها التي تعد شريانًا ماليًا مهم للاقتصاد اليمني. كما تسببت الاضطرابات الأمنية في تضرر القطاع النفطي، وفي قرار عدد من الشركات النفطية الأجنبية المتخلة لعدد من الحقول. فعائدات النفط انخفضت في العام 2014 بنحو مليار دولار بسبب تدهور أسعار النفط العالمية وأعمال التخريب التي طالت الأنابيب، فتراجعت العائدات من 7.6 مليار دولار في إلى 1.6 مليار دولار في عام 2014.

وبالنظر الى الكلفة الاضافية التي تترتب على احتمالية إغلاق المضيق الغير ممكنة استراتيجية، والتي سينتج اعاقة وصول ناقلات النفط من الخليج الى قناة السويس واضافة 6 آلاف ميل بحري زيادة بالنسبة للشحنات التي ستعبر، فلن تكون الكلفة الاضافية للنقل أكثر من 45 مليون دولار يوميا مما لا يبرر قتل نفس واحدة.

المثير للتساؤل هو التدخل المصري والذي يؤثر سلبا على حجم الاستثمارات القادمة للسوق خاصة بعد المؤتمر الاقتصادي في شرم الشيخ، وقد تهز تلك العملية ثقة المستثمرين الاجانب الذين يرون في مصر بلد حاضن لا يمكن ان يكون طرفا في صراع عربي عربي او دولي، وهو ما التي بظلاله على البورصه ايضا التي اصبحت تواجه خطر الانهيار، حيث اردت لبورصه على هذه الضربات بخسارة فادحة قاربت في يوم واحد 3,7 مليارات جنيه.

النزاع حلقة من حلقات استنزاف الموارد الاقتصادية للمنطقة، وبراء من هذه الحرب، بغض النظر عن أسبابها ودوافعها، العودة لتجربة حرب الخليج الأولى، لاستنزاف أموال النفط، والتي سيكون لها أثار على دول الخليج، كما أنه سيسهم في تصنيف المنطقة على أنها منطقة مضطربة، فضلا عن خروج عدد لا بأس به من الخليجيين إلى دول أكثر استقرارا مخالفة الدعاءات السلبية للحرب.

فليس صحيحا ان مشاركه مصر جاءت بسبب الخطر الاقتصادي الذي يهدد مصر نتيجه الاستيلاء على مضيق باب المندب الذي عرضه أقل من 20 كم، وان من يتحكم فيه يتحكم في البحر الاحمر، وبالتالي سيؤثر على قناة السويس الذي تمثل اعلى دخل لمصر من حيث النقد الاجنبي.

فمشاركة باكستان وتركيا ومصر توحي أن هناك محور سياسي يستند الى وضعية مذهبية بالاضافة الى منطق المال وهما الاقرب الى العقل حيث تجاوزت التكلفة الاولية في حرب دول الخليج على اليمن في يومها الاول الـ 30 مليار دولار، والتي دفعت بها مبالغ خيالية للدول العربيه التي يشارك طيرانها في قصف المعسكرات اليمنيه حيث حصلت جمهورية مصر

العربيه مقابل المشاركه في تلك الطلعات الجويه على خمس مليارات دولار وكذلك هو الحال بالنسبه للاردن والمغرب والسودان. وبالطبع اشترط مصر ايقاف الحملات الاعلاميه الشرسه الموجهه ضد النظام من قبل قناة الجزيره وهو ما تم بالفعل منذ اول يوم للطلعات الجويه. كما صرفت اكثر من خمسه مليار دولار للولايات المتحده الامريكيه مقابل الدعم اللوجستي التي قدمته لدول الخليج. هذا دون احتساب ثمن الانحياز التركي وهي عبارة عن اسهم تنازل عنها احد مالكي شركة الخليوي لابن احد المسؤولين في تركيا، وطلب السودان في طي ملف المحكمة الجنائية الدولية الذي يطال رئيسه.

ثار الحرب تبتلع المال والحجر و البشر وعلى الدول ان تفكر ان واقع الاستثمار يكون ضعيفا في الظروف الامنية والعاصفة، وتغيب عن مصر هذه الشروط، فهي بالاضافه للحروب التي توجهها في سيناء وليبيا فان الدخول في حرب اليمن تعتبر هزة تقيله لنفقه المستثمرين في الاقتصاد المصري.

ليس المهم ان تؤثر الحرب على اسعار النفط و لا ولكن التاثير هو على المستوى الانساني والاجتماعي حتى على زوج الانتماء الى العروبة. فوقتماع او انخفاض 5 او 6% في سعر برميل النفط لن تفلس خزائن البترونفطية، واجتماع القمة العربية في شرم الشيخ لم ولن يؤثر ايجابيا على السلع، المتمثله في البطون الجياع الذين سيرتفع اسعار المواد الغذائية لندرة وجودها نتيجة الحرب، والتي ستعيش الفقر و الاذلال وتنحدر الى طبقة الانعدام.

30 مليار دولار هي الكلفة الاولية، والحرب مؤلات قاتمه ومن الصعب حصر حجم الخسائر التي من الممكن ان تنتج عن هذه الضربات. فالدمار من الوحاشيل، لم يكن من الافضل لهذه الاموال ان تصرف في مشاريع انمائية لخلق فرص العمل لملايين الشباب الذين ينتظرون فرصة للعيش الكريم.

موقف سلطنة عمان المغرد خارج سرب الحزم يعني ان اليمن لن يعاني من حصار مؤلم ناهيك عن شاطئه الطويل والبالغ 1900 كلم. واما الحدود المشتركة السعودية الوعرة، لا تنفع معها الكثرة بالقوات ولا الوفرة بالعتاد، بل الخبرة بالمنطقة، وللسعودية تجربة سابقة في عام 2009 وهي غير مشجعة.

فالمعلومات الاستراتيجية ليست كافية لربح عاصفة اليمن فان وجود مئات الالاف من اليمنيين العاملين في الخليج والسعودية تجعل منهم قنبلة موقوته لا تعرف كيف ستتطاير شظاياها خاصة وان النصف الخليجي وحتى بدعم وغطاء خليجي وعربي ودولي قد أغلق أبواب أمام محاولات الاقتتال الأهلي بين اليمنيين على اختلاف انتماءاتهم السياسية والاجتماعية، وهو الأمر الذي كانت تدفع نحوه السعودية منذ أول العام

الجاري بفرض المحافظة على مبدأ محاصصة بين القوى السياسية اليمنية يكون فيه حلفاءها في موقع الرئاسة و المناصب الهامة.

ولا تنسى الرد من جانب الجيش اليمني، سيشمل بطبيعة الحال المناطق الحدودية بين اليمن والسعودية، والتي تشكل بيئة عدائية للقوات السعودية منذ حرب 2009 التي خرجت منها السعودية باتفاق تهدئة أجبرت عليه بعد خسائرها أمام قوات الحوثيين، وسيحبب هذا الواقع مطالب يمنية قديمة بأحقية أراضي تحتلها السعودية منذ الستينيات في جيزان وجبل الدخان خاصة وان الداخل اليمني بكافة أطيافه السياسية في الشمال والجنوب صار ينظر إلى القوات السعودية كعدوان خارجي يستهدف اليمن، وهو ما يلغي مستقبلا إمكانية أي تفاوض تحت رعاية سعودية أو خليجية كما كان يحدث سابقا.

الخطر الفعلي يأتي بانشغال القوات اليمنية و الحوثيين واللجان الثورية بالتصدي لعملية العسكرية السعودية، وبذلك فإن فرص تمدد تنظيمي داعش والقاعدة في اليمن ستتسع باطراد، وهو ما يمكن أن يؤدي إلى تكرار سيناريو داعش في العراق من جديد.

إن المصلحة الاستراتيجية تقتضي حوار سياسيا وليس حربًا أو صراعًا. فاسرائيل وتركيا تريدان ان تمشي تلك الساحات متفجرة بكل المتاويز والمعايير والمقاييس فمن مصلحة العرب أن يدخلوا في حوار وتحالف موضوعي يوجه التكفير بدلا من الاحتراب الذي يقود الجميع إلى جحيم لا قاع له، والخليج أخطأ في عدم انتهاج حل سياسي في اليمن، وبذلك يتكرر لخطأ عينه بالعمق السياسي في حربها على سوريا في محاولة لاسقاط النظام فيه.

للاسف ان نتائج أعمال القمة العربية 26، تحت شعار 70 عاماً من العمل العربي المشترك أبرزت العجز العربي المشترك الذي لم يجتمع الا ليحتر نفسه ولم يقدم يوما على تحديد الكيان الاسرائيلي كعدو فعلي وهو العدو الغاصب الذي استباح الارض والدم و العرض العربي.

في حال استمرار العاصفة وتطويرها إلى غزو شامل من الممكن أن تعصف بالخريطة السياسية المعروفة في شبه الجزيرة العربية ودول الخليج، ومن الصعب في ضوء الصراعات الإقليمية المتشابكة أن يكون انتهاء الحرب الحالية مثلما حدث في 2009، وحذاري من ان تصبح لعنة اليمن جهنما تلتهم نيرانها كل الخليج بأهواله ونعمله.